مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of
Human and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال

الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية 1918- 1920

(دراسة تحليلية في تاريخ فلسطين الحديث)

الدكتور عبد القادر جبارين

أستاذ مساعد جامعة الخليل – فلسطين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية 1918- 1920

(دراسة تحليلية في تاريخ فلسطين الحديث)

د. عبد القادر جبارين أستاذ مساعد جامعة الخليل – فلسطين

الملخص

يتمحور هذا البحث حول الخطاب السياسي الفلسطيني الرسمي خلال الفترة (1918-1920) التي تشكلت فيها القيادة السياسية الفلسطينية (أعضاء الجمعيات الإسلامية المسيحية واللجنة التنفيذية) بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة 1918م، فقد تشكلت هذه القيادة بشكل تلقائي من المتنفيذين اقتصاديا واجتماعيا واعيان المدن الفلسطينية من المسلمين والمسيحيين، وفرضت نفسها لتصبح المتحدث الرسمي باسم الشعب الفلسطيني في هذه الفترة، وكان خطابها السياسي مهادنا ومتساهلا، بل ومراهنا على الموقف البريطاني الذي أملوا منه تحقيق أماني الشعب الفلسطيني في إفشال إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتحقيق الاستقلال الفلسطيني ضمن الوحدة مع سوريا، أو تحقيق الاستقلال المنفرد، وفي نفس الوقت كانت القيادة الفلسطينية تقف موقفا معاديا للحركة الصهيونية، وبدون إدراك لطبيعة التحالف الاستراتيجي بين بريطانيا والحركة الصهيونية، فهذا الخطاب السياسي الفلسطيني كان يتعارض مع الخطاب الجماهيري للشعب الفلسطيني، الذي كان معاديا للانجليز والصهاينة معا.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي، الخطاب الجماهيري، القيادة الفلسطينية، الحركة الصهيونية، الجمعيات الفلسطينية

Abstract

This research paper deals with the official Palestinian political discourse from 1918-1920, the years 1918-1920 were critical in the Palestinian history because Palestine was occupied by the British forces who began to back Zionists and suppress the Palestinians. This leadership has been automatically formed from the economically and socially influential and elders of the Palestinian cities of Muslims and Christians. And imposed themselves to become the official spokesman of the Palestinian people in this period, and the political speech is gentle and lenient, and even betting on the British position, which it hoped to achieve the aspirations of the Palestinian people to thwart the establishment of a Jewish national home in Palestine. And achieving Palestinian independence within the unity with Syria, or to achieve solo independence, and at the same time, the Palestinian leadership stands hostile to the Zionist movement position, and without realizing the nature of the strategic alliance between Britain and the Zionist movement, then the Palestinian political discourse was contrary to the public discourse of the Palestinian people, who was hostile for the English and the Zionists together.

Keywords: Political discourse, Public discourse, The Palestinian leadership, Zionism, Palestinian associations

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

يتطرق هذا البحث الى الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية في مرحلة محدودة من تاريخ الصراع مع الصهيونية والانتداب البريطاني من عام 1918–1920 حيث تعتبر هذه الفترة مرحلة مهمة جدا في تاريخ فلسطين، شهدت الاحتلال العسكري البريطاني لفلسطين وبداية تحوله الى احتلال مدني من خلال فرض الانتداب والتحيز البريطاني للجانب الصهيوني من خلال وضع فلسطين في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية تمهد لإقامة وطن قومي لليهود فيها، وقد تم ذلك كله بالتنسيق والتشاور مع الحركة الصهيونية، كما شهدت بداية تشكيل القيادة الفلسطينية التي تزعمت العمل السياسي والعسكري الفلسطيني ضد أطماع الانجلو–صهيونية.

لقد تعرض كثير من الباحثين لموضوع القيادة الفلسطينية لكنهم كتبوا عنها بشكل عام، إما من خلال التعرض لتاريخ فلسطين الحديث، او الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام 1948م، او دراسة المؤسسات السياسية والقيادية من 1918–1948، او دراسة الاحزاب السياسية والشخصيات القيادية، وبذلك جاء هذا البحث ليركز على موقف القيادة الفلسطينية في مرحلة دقيقة ومحددة، ومبرزا خطابها السياسي الذي لا يتناسب مع حجم التحديات ولا يتناغم مع مطالب الجمهور الفلسطيني. فالخطاب السياسي الفلسطيني الرسمي كان يتمثل في الامور التالية:

1. عدم الاعتراف بالحركة الصهيونية واهدافها ومؤسساتها واشخاصها.
2. المشاركة المحدودة في الثورات الفلسطينية لامتصاص غضب الشارع الفلسطيني مع الحرص على عدم الاصطدام بالانجليز.
3. عدم الاكتراث بما يريده غالبية الشعب الفلسطيني المتمثل في ثورة مسلحة ضد الانجليز واليهود معا والحصول على الاستقلال ضمن الوحدة العربية او بشكل منفصل.

أما الخطاب الجماهيري فقد تمثل في النواحي التالية:

1. عدم التمييز بين الصهيونية والانجليز، لانهما وجهان لعملة واحدة، وان الانجليز هم المنفذين الفعليين للمشروع الصهيوني.
2. الثورة ضد اليهود والانجليز وافشال المشروع الانجلو– صهيوني في فلسطين.
3. تحقيق الاستقلال ضمن الوحدة العربية، او الاستقلال الوطني الناجز، وعدم الانجرار وراء الوعد البريطانية او اجراء انتخابات شكلية لمؤسسات محلية وتشريعية.

وبالرغم من هذا التباين في المواقف، فقد استمرت القيادة في نهجها المعتدل، وعجزت الجماهير عن افراز قيادة بديلة تستطيع ان تلبي طموحاتها، وذلك بسبب البعد الاجتماعي والعشائري للقيادة في المجتمع الفلسطيني، فهي تنتمي الى عائلات مرموقة وذات جذور في المجتمع، التف حولها كثير من الناس ووضعوا ثقتهم بها، كما ان سلطات الانتداب البريطاني رسخت هذه العناصر التقليدية للمجتمع من خلال اعطائهم بعض الصلاحيات والمسؤوليات، ومنعت اجزاء انتخابات حرة يستطيع الفلسطينيون ان يختاروا ما يناسبهم، كما ضيقت الخناق على العناصر الشابة التي تطالب بالتعبير،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالاضافة الى ذلك فقد كانت القيادة تظهر بعض المواقف الوطنية التي تحفظ لها شيئا من الدعم الجماهيري، واستمر هذا الوضع حتى بداية تشكيل اللجنة التنفيذية في نهاية عام 1920. (الأحمد، 1985)

ادت الحرب العالمية الاولى الى نتائج سلبية على الشعب الفلسطيني، فقد هزمت الدولة العثمانية المسؤولة سياسيا وقانونيا عن فلسطين، وصدور وعد بلفور، ودخل الجيش الانجليزي فلسطين كقوة احتلال، لكن وبالرغم من كل هذه التطورات، فقد استمر الشعب الفلسطيني في النظر بخطورة الى المشروع الصهيوني، وضرورة ان يتصدى الى هذا الخطر، وقد لاحظ الانجليز هذا الشعور المتأصل والمتنامي منذ دخولهم الى فلسطين، ويظهر ذلك من خلال التقارير التي كان يرفعها مركز الادارة البريطانية في القاهرة الى المسؤولين الانجليز، فقد ورد في احد التقارير ان المسلمين من سكان القدس وضواحيها يكنون للمسيحيين العطف والمودة، ولكنهم شديدو العداء لليهود، ا وان شئنا المزيد من الدقة للصهيونيين. وتضيف التقارير الانجليزية بأن العداء لليهود في تزايد مستمر" والاحتكاك،بكلمة مختصرة ليس ببعيد" وقد ادرك المسؤولون الانجليز في فلسطين بان هذا الاحتكاك الوشيك سوف يضر بالمشروع الاستعماري البريطاني في المنطقة: وان اعشابا ضارة اخذت في النمو حول المكاسب البريطانية السياسية في المنطقة، أول هذه الاعشاب هي "القلق العربي فيما يتعلق بالصهيونية. (انطونيوس، 1969)

من الواضح ان لهذا الشعور الفلسطيني المتنامي في عدائه للصهيونية وتخوفه من السياسة البريطانية ما يبرره. فالقوات البريطانية التي دخلت فلسطين بقيادة الجنرال اللمبي سنة 1918،1917، تصرفت كقوة احتلال، فلم تحافظ على سياسة الوضع القائم كما هو متعارف عليه قانونيا في حالات احتلال اراضي العدو، لكنها وضعت نصب عينيها تنفيذ ما التزمت به الحكومة البريطانية في وعد بلفور، فالجنرال اللمبي يصدر بيانه الاول باللغة الانجليزية والعربية والعبرية، ويستخدم اللغة العبرية كلغة مساوية للعربية في المعاملات الرسمية الاخرى، كما عمدت الادارة العسكرية البريطانية الى اخفاء الحقائق المتعلقة بالاستفسارات والاحتجاجات الفلسطينية حول التزام بريطانية بالمشروع الصهيوني وفق ما ورد في وعج بلفور، كام انها لم تسمح بمناقشة موضوع الصهيونية مع العرب متذرعة بان الحرب لم تنته، وانها حريصة على حفظ الامن والنظام في هذه المنطقة دون الخوض في امور سياسية معقدة كهذا الموضوع، اضافة الى ذلك فان الادارة العسكرية البريطانية كانت تنتظر وصول البعثة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمان، زعيم الحركة الصهيونية، الى فلسطين. (دروزة، 1959)

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول موضوع ذات أهمية تاريخية وتأثيرية في القضية الفلسطينية، وعدم وجود دراسات علمية دقيقة لطبيعة الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية في الفترة 1918-1920م، والتي تعد من ضمن المراحل التاريخية ذات الأهمية الكبيرة في تاريخ فلسطين السياسي ومرحلة انتقالية، انحسرت بين وعد بلفور عام 1917 والانتداب البريطاني على فلسطين، ودور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأثير الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية التي تشكلت من الجمعيات الاسلامية والمسيحية والتي مثلها اعيان المدن ورجل ذوي تاثير اجتماعي وسياسي واقتصادي في تلك المرحلة.

أهداف الدراسة

- تهدف الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي الفلسطيني للقيادة الفلسطينية من العام 1918-1920.
- إظهار دور البعثة الصهيونية وأهدافها إلى فلسطينية.
- دراسة تركيبة القيادة الفلسطينية في تلك الفترة.
- توضيح تأثير الدور البريطاني على القيادة الفلسطينية.
- تتبع نشأت وتطور الجمعيات الإسلامية والمسيحية.
- دراسة وتحليل النزعة الوطنية في الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية في تلك المرحلة.
- الخروج بنتائج تبين واقع وتأثير ودور الخطاب السياسي الفلسطيني.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة خلال مراحلها على المنهج التاريخي في تتبع تطور ونشأة الجمعيات الإسلامية وخطابها السياسي منذ بدأ المرحلة حتى نهايتها، والاعتماد على المنهج التحليلي في تحليل الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية وتأثيره على الجماهير الفلسطينية، وتأثره بالوضع العالمي والإقليمي والتغيرات السياسية، كما ارتكزت الدراسة على المنهج المقارن في المقارنة في التغير في طبيعة الخطاب وموقف الجمعيات الفلسطينية في تلك الفترة.

البعثة الصهيونية إلى فلسطين

ان الهدف من وصول هذه البعثة الصهيونية بزعامة حاييم وايزمان الى فلسطين في ربيع سنة 1918، هو تحقيق اهداف كثيرة تخدم المشروع الصهيوني والسلطة العسكرية البريطانية في فلسطين، فقد اعلنت الوزارة الخارجية البريطانية ان الهدف من قدوم هذه اللجنة هو تمثيل المنظمة الصهيونية العالمية في فلسطين، والعمل كجهة استشارية للسلطات البريطانية في فلسطين، بخصوص الامور المتعلقة باليهود والخاصة الاهداف المتعلقة بإقامة وطن قومي لليهود فيها، وهذ صحيح، فوايزمان يريد ان يرى ارض الواقع (فلسطين) بان الاجراءات الميدانية التي تطبقها الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين تنسجم تماما مع الالتزام البريطاني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وليس مجرد وعوج واجراءات سطحية ليست ذات قيمة. (دروزة، 1959)

اما السلطات البريطانية، فتريد ان تثبت للزعيم الصهيوني بانها مخلصة في وعودها، وانها بدأت بالفعل في اتخاذ اجراءات عملية على الارض لتحقيق الهدف الصهيوني في فلسطين كما ان الادارة العسكرية البريطانية تريد ان يوضح وايزمان للعرب بان تخوفهم من المشروع الصهيوني هو تخوف غير مبرر، فاليهود لا يمكنهم ايضا ان يشكلوا خطرا عليهم اجلا ام عاجلا. ففي حفل اقيم بدار الحكومة في يافا 1918/5/8، وحضره بعض رجالات العرب ردد وايزمان ما سبق وان قاله في القدس سابقا حينما قال: ولم يكن قصدنا ايها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السادة ان نستأثر بالسلطة السياسية العليا في فلسطين، ولا ان نخرج احدا من املاكه، فان فلسطين بلاد واسعة، تسع اضعاف عدد سكانها، وكلهم يعيشون في رغد وهناء. بل ان جل قصدنا هو احياء الاملاك واستثمار الاراضي الواسعة التي استولينا علينا منذ عهد الحكومة السابقة (العثمانية) واحياء العلوم والمعارف.

فهذه التضمينات، وفق التوقعات البريطانية، سوف تقلل من المخاوف العربية، وبتالي تقلل من فرص التصادم بين الجانبين، كما انها ستأدي الى اضعاف الشكوك العربية حول سياسة الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين، وهذا كله يقلل من فرص الثورة الفلسطينية ضد بريطانيا والصهيونية. (الأحمد، 1985)

وبالمجمل فقد ارادت الحركة الصهيونية والادارة العسكرية البريطانية في امتصاص نقمة الشعب الفلسطيني المتزايدة، حتى تتمكنان من اقناع الحلفاء المجتمعين في باريس بان المشروع الصهيوني قابل للتطبيق تحت اشراف بريطانيا دون ان يؤثر ذلك على الامن والنظام الدوليين، وعلى الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط. (زعيتر، 1979)

وفي ظل تنامي الشعور العدائي الفلسطيني لهذا التحالف الانجلو–صهيوني ووصول الشعب الفلسطيني الى القناعة بضرورة التصدي بالقوة لهذا التحالف، نجد بداية تبلور القيادة السياسية الفلسطينية الرسمية متمثلة في اعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية والذين لم يعملوا على تنمية وتغذية هذا الشعور الوطني الشعبي العارم، وتوجيهه نحو الثورة، وانما عملوا على العكس من ذلك، بحيث أبطئ من وتيرة التوجه الثوري للشعب، وبدوءا يراهنون على امكانية تغيير السياسة البريطانية بالطرق السلمية مع الاستمرار بعدائهم للصهيونية وبدون وعي لطبيعة العلاقة الاستراتيجية بين بريطانيا والحركة الصهيونية في فلسطين. ولكن وقبل الحديث عن الخطاب الرسمي السياسي الفلسطيني ممثلا في هذه الجمعيات لابد من معرفة الظروف التي نشأت فيها هذه الجمعيات ومدى علاقتها ببريطانيا وطبيعة تركيبتها الاجتماعية، ومصالحها الاقتصادية وعلاقتها بالجمهور الفلسطيني.

الجمعيات الاسلامية–المسيحية في فلسطين (النشأة وتطورها)

تعتبر الجمعيات الاسلامية المسيحية اول مظهر للوعي السياسي الفلسطيني المنظم بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين، فقد تم تشكيلها بعد ان علم اهل فلسطين بوعد بلفور ، وتم تشكيلها وفق لقانون الجمعيات العثماني الذي كان ساري المفعول، وقد اعترفت بها السلطات البريطانية كجمعيات ممثلة لسكان البلاد.

والمتتبع لنشوء هذه الجمعيات ولقوانينها ولاعضاءها ولعلاقاتها بالانجليزي ولمواقفها من التطورات السياسية على الساحة الفلسطينية، يجد بانها كانت ضعيفة وغير قادرة على مواجهة التحديات التي تشهدها فلسطين، كمان ان خطابها السياسي لم يكن اكثر من تسجيل مواقف وطنية.

وقد بدأ الانجليز يتخوفون من تنامي الشعور الفلسطيني المعادي لهم والذي ستؤدي الى إلحاق الضرر بالمكاسب السياسية التي حقوقها وينون تحقيقها في المنطقة، ومن هنا لابد من السماح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بنشوء قيادة فلسطينية تتعايش مع هذا الوضع الجديد، وتمكن بريطانيا من تقليل المخاوف الفلسطينية من المشروع الصهيوني، مما قد يؤدي الى خلق مناخ من التفاهم العربي اليهودي مع قدوم البعثة الصهيونية برئاسة وايزمان، كما وسبق ذكره، وقد أكد هذا التوجه السياسة البريطاني حاكم القدس رونالد ستورس في تقريره عن الاوضاع في فلسطين في نيسان لسنة 1918.

فالحكومة البريطانية كانت تهدف الى تأسيس مثل تلك الجمعيات حتى تستطيع ان توجهها كيفما تريد، ولتحاول بالتالي تبرير النشاط الذي تبديه البعثة الصهيونية، بان المسلمين والمسيحين لهم جميعات مماثلة. وعن تشجيع الادارة البريطانية لتأسيس هذه الجمعيات، تقول الدكتورة بيان نويهض الحوت، ان هذا الدور لم يكن اكثر من عدم معارضتهم لوجود مؤسسة ما تستطيع ان تتكلم باسم السكان غير اليهود.

من ناحية اخرى فقد كان تشكيل مثل هذه الجمعيات حاجة فلسطينية داخلية، فقد شعر الفلسطينيون بانهم بحاجة الى من يمثلهم امام سلطة الاحتلال البريطانية، ويدافع عن حقوقهم السياسية والحياتية، فرغم الاحداث والتطورات التي عاشها الشعب الفلسطيني خلال سنوات الحرب العالمية الاولى وانعكاساتها السلبية على مجريات الامور في فلسطين، الا ان ذلك لم يفت في عضد الشعب، ولم يغيب عنه مدى الاحساس بالخطر الصهيوني المحدق به، اضافة الى ان السلطة العسكرية البريطانية اصبحت حقيقة واقعة ولابد من من التعامل معها في تسير امور الناس الحياتية. والحركة الوطنية الفلسطينية قبل تأسيس هذه الجمعيات كانت تتركز في مجموعة من النوادي والجمعيات في المدن الفلسطينية الرئيسية، مما ادى الى بعثرة العمل الوطني. لهذه كله كان لابد من وجود مؤسسات اكثر فاعلية لقيادة العمل الوطني وتنظيم امور الناس. فالجمعيات الاسلامية المسيحية، وكما يقول عادل غنيم "تكونت بحكم الضرورة، وفي ظروف الحرب العامة وبداية الاحتلال العسكري لتنظيم العلاقة بين السلطة والاهالي.

التركيبة الداخلية للجمعية الاسلامية – المسيحية وموقفها السياسي

تجمع معظم المصادر التاريخية بان اول جمعية اسلامية – مسيحية تشكلت في يافا في الاشهر الاولى من غام 1918 وقد مثلت المسلمين والمسيحين اثناء زيارة البعثة الصهيونية للمدينة في ايار سنة 1918. وعملت جمعية يافا على الاتصال بالوجهاء والتجار والمتنفذين في المدن الفلسطينية الاخرى من اجل الانضمام الى عضوية هذه الجمعية بواقع عضويين من كل مدينة، الا ان هذه الدعوة رفضت من قبل زعماء القدس خوفا من ان يقوم اعضاء جمعية يافا بزاعمة الحركة الوطنية الفلسطينية بدلا منهم. ولذلك شكل هؤلاء جمعية في تشرين ثاني سنة 1918 ثم تشكلت جمعيات مماثلة في مختلف انحاء فلسطين، واخيرا توحدت هذه الجمعيات في جمعية اسلامية مسيحية واحدة بواقع عضوين عن كل جمعية ما عدا جمعية القدس التي كانت ممثلة باربعة اعضاء من اجل الحصول على القيادة وقد تول السيد عارف باشا الدجاني رئاسة الجمعية ومحمد عزة دروزي سكرتاريا. (زعيتر، 1979)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الواضح ان الحركة الوطنية الفلسطينية قد بدأت بداية ضعيفة وزاد بضعفها لا انقسامات والخلافات القائمة حول تشكيل هذه الجمعيات وتدخل بريطانيا في شؤونها بالاضافة الى تركيبة اعضائها السياسي والاجتماعي، وقد عبر عن هذا الضعف الجنرال كلايتون في تقريره في 14 آب 1918 عندما قال استقالت الجمعية الاسلامية المسيحية بسبب فشلها التام في السهر على مصالح المسلمين والمسيحين. ويقوم الحاكم العسكري الان باتخاذ الخطوات اللازمة لتشكيل جمعية جديدة.، ويقول الدكتور كامل خلة لقد ظهرت تلك الجمعيات ضعيفة منذ البداية، اذ ان اللذين ارتبطوا بها جمعتهم مصالح ذاتية خاصة، ولم تجمعهم مصلحة وطنية مشتركة. (صبري، 1982)

وعن التركيبة الاجتماعية عن لاعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية، والتي اثرت على مواقفهم السياسية، فقد كانوا وكما يصفهم عدل حسن غنيم "من الاعيان والتجار وملاك الارض واصحاب النفوذ الذي انتخبوا من قبل شريحة صغيرة من المجتمع الفلسطيني حيث ان طريقة الانتاب تعتمد على من يحسنون الكتابة والقراءة، وتجاوز اعمارهم 25 ولهذا لم يستطع الشباب المثقف والغالبية العظمى من المجتمع انتخاب هؤلاء الذين مثلوا القيادة لهم مستقبلا. وهذا يفسر موقفهم المسالم وعدم قدرتهم على التعبير عن مطالب الجماهير.

يصفهم الدكتور منويل حساسيان بأنهم من اعيان المدن الذين كانوا يطمعون في الاحتفاظ بالنفوذ السياسي الذي نالوه في ظل الامبراطورية العثمانية التي سبقت الادارة العسكرية البريطانية" ويضيف حساسيان "بان الطبقة الحضرية العليا هي مركز القوة السياسية وجاءت من بين صفوفها القيادات الوطنية... وان العدوات العائلية والسياسات الحزبية كانت مسؤولة عن فشل الفلسطينين في الوقوف في وجه الحركة الصهيونية اثناء محاولتها خلق دولة يهودية وفي نفس السياق يصف الدكتور (علي محافظة) اعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية بانهم ينتمون الى طبقة لا تجمعها رابطة سياسية ولا تتمتع باي قوة منظمة وهي طبقة مفككة تتنافس على مواقع السلطة. (السكاكيني، 1955)

الخطاب السياسي للجمعيات الإسلامية المسيحية (القيادة الفلسطينية)

تبنت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية نهجا سياسيا مزدوجا، فقد هادنت بريطانيا، وراهنت على امكانية تغيير سياساتها الرامية الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بالطرق السلمية من خلال حل وسط يحافظ على مصالح بريطانيا ف فلسطين، مقابل تخلي الاخيرة عن دعمها للمشروع الصهيوني. ومن ناحية اخرى فقد وقفت موقفا معاديا للحركة الصهيونية، حيث ظل هذان المدئان يحكمان سياسة الحركة الوطنية بدءأ بالجمعيات الاسلامية المسيحية ومرورا باللجنة التنفيذية حتى اواخر العشرينات. فهذا التوجه السياسي يتعارض مع توجهات الشعب الفلسطيني الذي يؤيد مواجهة الانجليز والصهاينة معا، ويتعارض ايضا مع عداء القيادة الوطنية للحركة الصهيونية، وذلك لان الانجليز هم الذين ينفذون المشروع الصهيوني. ومصادقتهم تعني مصادقة الحركة الصهيونية بطريقة غير مباشرة. (الشريف، 1995)

ويحلل الكُتاب عادل غنيم ومحمد الشريف وناجي علوش هذا الموقف بالاستناد الى عوامل اقتصادية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسياسية وفكرية. فاعتقدت القيادة الفلسطينية ان بريطانيا وقفت الى جانب الثورة العربية الكبرى للشريف حسين، ولن تسمح بسيطرة صهيونية مستقبلية على فلسطين، كما ان رغبتها في امن واستقرار امبراطوريتها ستدفعها الى اخذ مشاعر المسلمين في الامبراطورية تجاه فلسطين المقدس بعين الاعتبار، وبالتالي لا تمكن اليهود من السيطرة على لفلسطين، ونفس الاسباب ايضا تنسحب على المسيحين في العالم اتجاه سيطرة الحركة الصهيونية على فلسطين.

كما وان هذا الموقف نابع من طبيعة التركيبة الطبقية للقيادة الفلسطينية وخوفها على مصالحها الاقتصاديا، اذا وقفت موقفا عدائيا من سلطة الاحتلال الانجليزي، كذلك فان هناك فئة في اطار الحركة الوطنية تؤمن بان بريطانيا تلعب دورا تمدينيا وتحديثيا في فلسطين ينهي التخلف الموروث عن الحقبة العثمانية ويؤدي الى فتح ابواب التمدن والتقدم في فلسطين ويصل هؤلاء الكتاب الى نتيجة بان هذا الفهم كان خاطئا ومضرا بمسيرة الشعب الفلسطيني النضالية خلال هذه الفترة وذلك لان القيادة لم تفهم بان هناك خطة مبيتة يريد الاستعمار تحقيقها مهما كلفه الامر. وان الدور المرسوم للصهاينة في المنطقة "لا يستطيع العرب القيام به في المستقبل لخدمة المصالح البريطانية والغربية. (علوش، 1975)

وقد ظهر الخطاب السياسي المهادن لبريطانيا والمعادي للحركة الصهيونية في عدة مواقف، في الذكرى السنوية الاولى للاحتلال الجيش الانجليزي ليافا، قدمت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا مذكرة الى الحاكم العسكري الانجليزي كلاتيون بدأتها بمدح بريطانيا، والامل في يتحقق تصريح رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج) باعطاء الفلسطينين الحكم الذاتي وفي نهاية المذكرة، ابدت ادارة الجمعية معارضتها الشديد للادعاءات الصهيونية باحقيتها في فلسطين.

الخطاب السياسي في المؤتمر العربي الفلسطيني الأول

ظهر هذا الخطاب في المؤتمر العربي الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس في الفترة 1/27-1919/2/9، من اجل تدارس كيفية عرض المطالب الفلسطينية بخصوص تقرير المصير على مؤتمر الصلح في باريس، والاعراب عن المخاوف الفلسطينية من الاطماع الصهيونية في فلسطين، فاذا استعرضنا المدوبين الذين ينتسبون الى الجمعية الاسلامية المسيحية وبعض الاندية السياسية في كل انحاء فلسطين باستثناء الخليل وبئر السبع وعكا وانتماءاتهم الاجتماعية وارائهم السياسية، وتبعيتهم الداخلية والخارجية ثم القرارات التي اتخذوها في ختام المؤتمر نجد هذا الخطاب السياسي اتجاه بريطانيا والحركة الصهيونية، وابتعاد هذا الخطاب عن تلبية طموح الشعب الفلسطيني فالمجتمعون –وكما يصنفهم خليل السكاكيني– ينقسمون الى ثلاثة فرق: فريق مخلص وطني حر، وفريق وطني ولكنه جبان، ضعيف الراي وسهل الانقياد، وفريق مأجور واجنبي النزعة ويراعي في يطلب اما مصلحة الانجليزي، او مصلحة الفرنسيين او مصلحة الصهيونين وضم المؤتمر 27 عضوا برئاسة عارف الدودي الدجاني ونائبه الشيخ راغب ابو السعود الدجاني. وقد كان الصراع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على اشده على مناصري الوحدة العربية وبين الموالين للانجليز.

وقد انهى المؤتمر اعماله باتخاذ عدة قرارات تضمنت المطالبة بعدم فصل فلسطين عن سوريا الطبيعية، ورفض الاطماع الفرنسية في البلاد العربية وفلسطين، ورفض الاطماع الصهيونية ووعد بلفور، في المقابل، فقد ورد في قرارات المؤتمر طلب العون والتأييد من بريطانيا ان حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى"، واختتم المؤتمر مذكرته بالقول "نتوجه اليكم يا عظماء الرجال الذين اخذوا على انفسهم ان يكون حكما عادلا يحكم على اساس حقوق الشعب وسعادته، واثقين كل الثقة ان ننال غايتنا وتحترم رغباتنا وعواطفنا. (غنيم، 1974)

كما ظهر عجز القيادة عن الاستجابة لمطالب الجماهير من خلال فهمها وتحديدها للاستقلال، فقد عجزوا عن تحديد مفهوم دقيق للاستقلال الوطني، ومرد ذلك الى عدم وجود كيان سياسي فلسطيني واضح المعالم قبل تقسيم الوطن العربي الى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، إثر اتفاقية سايكس بيكو، وبما ان فلسطين هي جزء من بلاد الشام، فالاستقلال يعني انها جزء من هذه البلاد (الجزء الجنوبي)، ثم تطور هذا المفهوم بعد فرض الانتداب سنة 1920 ليعني عندهم "تاليف حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخب اعضائه الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين حتى اول الحرب". وهذا يعني اعترافا بالتجزئة، والتخلي عن مقاومة الاحتلال الانجليزي والتوجه نحو مقاومة وعد بلفور والمشروع الصهيوني. (الشقيري، 1954)

دليل اخر على عجز الخطاب الرسمي للقيادة السياسية الفلسطينية عن التعبير عن رغبة الجماهير الفلسطينية في التخلص من التحالف الانجلو–صهيوني وما يمثلانه من اخطار على فلسطين، ومن خلال تتبع الاحداث التاريخية في فلسطين، هو الرد الفلسطيني على لجنة كينج–كرين، في أوائل شهر نيسان سنة 1919 فقد قررت القيادة الفلسطينية ما يلي:

أولا: ان تكون سوريا التي تمتد من جبال طوروس شمالا الى السويس جنوبا، مستقلة استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية.

ثانيا: أن تكون فلسطين مستقلة استقلالا داخليا وتختار حكامها من الوطنين حسب رغبات اهلها وحاجات البلاد.

ثالثا: رفض مهاجرة الصهيونين والاحتجاج على اطماعهم في فلسطين.

وقدمت هذه القرارات الى الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا لتقديمها الى لجنة كينج–كرين، فحذفت الجمعية عبارة (ضمن الوحدة العربية الواردة في البند الاول، كما اجمع اكثرية الاعضاء في الجمعية على طلب اشراف انجلترا على فلسطين وسوريا معا واعطاء البلاد الاستقلال الداخلي والاداري متى تحققت جمعية الامم من كفاءة اهلها بادارة شؤونهم بانفسهم وجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وعدم الاعتراف بامتياز اجنبي وبالنظر بعين فاحصة الى هذه المطالب، فاننا نجد ان هناك تراجعا في الخطاب السياسي من مطالبته بالاستقلال الى الموافقة على الوصاية او الانتداب رغم انه فسرها بمساندة فنية اقتصادية مما يدل على فاعلية التدخل البريطاني وتأثيره على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزعامة التقليدية الفلسطينية، وللخروج من مأزق اختيار الدولة المنتدبة على فلسطين، ترك الامر ليبث فيه المؤتمر الذي سيعقد في دمشق في شهر حزيران، اصر المؤتمرن في دمشق والذين يمثلون اجزاء سوريا المحتلة (الشرقية والغربية والجنوبية) على تحقيق الاستقلال السياسي الناجز للبلاد دون حماية ولا وصاية

وفسر المؤتمرون الانتداب على انه "مساندة فنية واقتصادية" لا تتعارض مع الاستقلال وتوجه الى امريكيا لتقديم مثل هذه المساعدة، واذا لم تتمكن امريكيا من ذلك، "فأننا نطلب ان تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى، على ان لا تمس استقلال بلادنا السياسي ووحدتها، وعلى ان لا يزيد امرها عن عشرين عاما. (الغوري، 1955)

لا يعني تدني الخطاب السياسي الرسمي الفلسطيني خلال هذه المرحلة ان القرار السياسي بات حكرا على العناصر المعتدلة في الحركة الوطنية، وانها باتت رهينة الموقف البريطاني المؤيد للاطماع الصهيونية، وانما كان هناك خط وطني عام – او بشكل ادق– شعور وطني عام بين اوساط الجماهير معادٍ للانجليز كما هو معاد للصهيونية، وهذا التوجه الجماهيري بدأ يضغط على القيادة السياسية لترفع من سقف خطابها السياسي تجاه بريطانيا.

وقد اوردت لجنة كنج كرين في تقريرها موقف العامة (الفلاحين) من خلال الرد على سؤال: من أنتم؟ فكانت اجابتهم

نحن اصحاب هذه البلاد الذين حافظنا على اراضينا اجيالا طوالا في الخصب والجدب، في السلم والحرب، في ايام المرض والاوبئة، في ايام الظلم والاستبداد، نحن الذين استثمرنا اراضينا اجيالا طوال بالفلاحة والزراعة وغرس الاشجار وسقينا تربتنا بعرق جباهنا. نح الذين يقع علينا عبء الحرب في كل وقت. فمنا تؤخذ الجنود ومنا تجمع الاموال، نحن الذين قاسينا ما لم يقاسيه احد من ظلم الحكام وصبرنا على ما لا يصبر عليه احد من جوع وعري وفقر شقاء. (الحزماوي، 1998)

مدى قوة النزعة الوطنية في الخطاب السياسي الفلسطيني

كما كان هناك عنصر ضاغط اخر على القيادة الوطنية، وهو عناصر وطنية ملتزمة بين اعضاء الجمعيات الاسلامية الميسيحية مثل عزة دروزة وموسى كاظم الحسيني وغيرهم، وهم الذين قال عنهم خليل السكاكيني، عندما وصف بعض اعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الاول، بانهم فريق مخلص وطني حر لا يراعي في وطنيته شيئا. كما كان موقف هؤلاء فعالا ايضا في المؤتمر الفلسطيني الاول حيث كان عددهم 12 عضوا ومن انصار الوحدة العربية.

جاءت بعض قرارات المؤتمر مؤيدة للوحدة العربية وعدم انفصال فلسطين عن سوريا، فقد كان – كما يقول الكابتين كامب من دائرة الاستخبارات البريطانية لشباب المسلمون اعضاء مختلف الجمعيات العربية يحثون على المطالبة بفلسطين مستقلة جزءا من دولة عربية كبيرة مستقلة. واضاف ان الخوف من الصهيونية هو السبب الرئيسي الذي دفع الشباب من العناصر الموالية للوحدة العربية نحو العطف على الاتحاد مع سوريا العربية المستقلة، فانضمام فلسطين في سوريا العربية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصبح في وسع شعب فلسطين، بمساعدة العرب الاخرين، ان يقاوموا بإنجاح الهجرة اليهودية ويظهر اثر موقف الخط الوطني في رفع سقف الخطاب السياسي للحركة الوطنية ايضا في البنود 7و8و10 الواردة في مقررات مؤتمر دمشق والتي ترفض الوجود الصهيوني في فلسطين، او فصلها عن سوريا، وتطلب الغاء الوعود والمعاهدات السرية، وعليه فقد ازداد الشعور الوطني المناهض للصهيونية والاحتلال البريطاني، وبدأ يتحول من عمل علني الى عمل سري يهدف الى مقاومة الوجود البريطاني والصهيوني في فلسطين. (خالدي، 1983)

وكانت باكورة هذا العمل هو تشكيل الجمعية الفدائية في القدس والتي تهدف الى مقاومة التحالف الانجلو– صهيوني في فلسطين ويشترك في رجال البوليس والدرك ومع سكان القرى الفلسطينية والعشائر الاردنية وزاد في هذا التوجه الشعبي استمرار بريطانيا في دعمها للمشروع الصهيوني وتنكر الحلفاء لوعودهم للعرب بالاستقلال، بل انهم فرضوا التجزئة والانتداب على البلاد العربية، وقد تنبأت بريطانيا لهذا التحول العدائي الموجه ضدهم وضد اليهود في التقرير الذي رفعه الجنرال (واتسون) عقب تسلمه ادارة الاحتلال العسكري في فلسطين عندما قال "ان عداء الاكثرية الساحقة من السكان للصهيونية عو عداء ذو جذور عميقة – وهو اخذ بالتحول بسرعة الى عداء للبريطانيين– وسنجم عنه، اذا فرض عليهم البرنامج الصهيوني بالقوة فالاكثرية الساحقة التي يقصدها واتسون هم الفلاحون المتضررون اكثر من غيرهم من المشروع الصهيوني الذي يستهدف سلب الارض منهم، اضافة الى معاناتهم من السياسة البريطانية، فشكل هؤلاء مادة الثورة، وتجاوزوا ارادت القيادة. فحدثت ماهرات في القدس في 27 شباط 1920، ثم تلا ذلك هجوم مسلح على مستعمرتي المطلة وتل حي وقتل 7 يهود، ثم مظاهرة اخرى في القدس، ثم اندلعت اولى الثورات الفلسطينية في اول نيسان عام 1920 والمعروفة بثورة العشرين. (خالدي، 1983)

فثورة العشرين لم تكن مجرد ردة فعل على بعض الاستفزازات اليهودية، ولا من اجل تحقيق بعض الاهداف الانية او الشخصية، ولم تقتصر على القدس، ولكنها انتفاضة معظم الفلسطينين في المدن والقرى، مسلمين ومسيحين وشكلت دافعا لاتساع دائرة المقاومة الوطنية، وليست كما يقول المندوب السامي في تقريره لسنة 1920 بانها من الخزعبلات التي يصدقها الشعب الساذج، حول ما قيل من نوايا الصهيونيين في السيطرة على البلاد. لكنها وكما يشير تقرير لجنة بالين للتحقيق، ان الانجليز في فلسطين يواجهون مواطنين محليين يهمن عليهم السخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الامل، ويلفهم خوف بشأن مستقبلهم، ونتيجة لذلك فأن 90% يكنون العداء للادارة البريطانية العامة، وان كان الهجوم كله موجها ضد اليهود لكن الامر لم يكن كذلك بالنسبة للقيادة الوطنية الفلسطينية، فلم تتجاوب مع الرغبة الجماهرية هذه، بل انها استمرت بالتركيز على عدائها للصهيونية ومهادنتها لبريطانيا، رغم ان الاخيرة استخدمت في قمعها للثورة وحدات يهودية خاصة دربتها وسلحتها لهذا الغرض. (الحوت، 1974)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اضافة الى استنتاجات لجنة بالين للتحقيق التي اكدت على تحيز الادارة البريطانية لصالح اليهود والذي يعرقل الجهود للتهدئة في البلاد. فقد نحي موسى كاظم الحسيني عن رئاسة بلدية القدس، وقبلها راغب النشاشيبي، وزاد من خيبة امل الفلسطينين وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وادخال نص وعد بلفور في بنود الانتداب. مما اعطى هذا الوعد الصفة الدولية وفتح الطريق امام الصهاينة من أجل تأسيس وطن قومي لهم، وتلا ذلك تعيين اليهودي هربت صموئيل على رأس الادارة المدنية التي حلت محل الادارة العسكرية في فلسطين. (حساسيان، 1987)

فهربرت صموئيل معروف بدهائه وحنكته السياسية وخبرته، فقد اختير بدقة حتى يعمل على ارساء قواعد انشاء الوطن القومي اليهودي، ويعمل على اشراك اليهود في ادارة شؤون البلاد في ظل حكومة مدنية تابعة لوزارة المستعبرات وقد قال وايزمان "نحن الذين صنعناه في ذلك المركز، انه صموئيلنا"استمرت بريطانيا في سياستها – وهي من الان فصاعدا تمثل الارادة الدولية– المتمثلة في وضع البلاد في ظروف سياسية واقتصادية وقانونية تسهل اقامة الوطن القومي اليهودي، وبالتعاون مع الحركة الصهيونية. وبالرغم من كل هذه التحديات، نجد ان الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية لم يرق الى حجم هذه التحديات التي تحيط بالبلاد، كما انه لم يرق لمستوى الطموح الجماهيري. فالجماهير الغاضبة على هذه السياسات البريطانية، والناس بدأوا بعقد اجتماعات سياسية والتفكير بشن غارات على اهداف بريطانية وصهيونية، وربما التهديد باغتيال صموئيل نفسه.

الا ان بعضا من القيادة وخاصة المعارضة تجاهلت هذا الشعور، واجتمعت مع صموئيل وعبرت عن ترحابها بقولها على لسان عاصم السعيد ان هذه البلاد في حاجة شديدة الى مندوب سام بريطاني ينظر بعدل وثبات ودقة ومقدرة في احوال هذه البلاد، وما تحتاجه من كل وجه، ولذلك نتمنى من صميم قلوبنا سعادة هذه المدينة وهذه البلاد مع وجود سكانها في حماية الامة البريطانية كما ورحب ايضا راغب النشاشيبي كرئيس لبلدية القدس فقال ان المدينة المقدسة ترحب بفخامتكم ... لتتوب عن جلالته (ملك بريطانيا) في ادارة هذه البلاد، وليجلب السعادة لسكانها، ولتحافظ على ميزان العدالة بينهم دون تمييز أو تفريق... إننا واثقون بمساعدة الامة البريطانية ام الحرية والمساواة. وفي مقابل هذا الترحاب الحار، حاول صموئيل طمأنتهم بكلمات ركز فيها على حرية الاديان، واحداث تطور اداري واقتصادي في البلاد، كما طرح موضوع المجلس الاستشاري هادفا بذلك ايهام الفلسطينين بان بريطانيا مهتمة بمشاركة السكان في ادارة البلاد، وأنه معني بتطبيق الشق الثاني من وعد بلفور والخاص بالسكان غير اليهود. وفعلا شارك عدد من الوجهاء العرب مسلمين ومسيحيين وعددهم سبعة من اصل عشرين عضوا نصفهم من الانجليز وثلاثة من اليهود. واستمر نهج الاعتدال والمساومة ومحاولة التفاهم وابداء حسن النية مع بريطانيا بزعامة اللجنة التنفيذية لمؤتمر حيفا والمؤتمرات الفلسطينية الاخرى طيلة فترة العشرينات. (حساسيان، 1987)

الخاتمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي النهاية لا بد من التأكيد بضرورة دراسة تاريخ القضية الفلسطينية بصورة دقيقة وشاملة، ويجب التوقف عند كل جزئية منه، نقييم جيدا ايجابيات وسلبيات كل جزء، حتى نفهم الماضي والحاضرة ونحسن التصرف في المستقبل، فالشعب الفلسطيني استطاع في الماضي ان يتحدى القوة والبطش الانجلو–صهيوني، بغض النظر عن عدم التكافؤ العسكري بين الطرفين واستطاع ايضا ان يتجاوز المساومات والمراهنات التي اتبعتها القضية الوطنية الفلسطينية، وان يفرض خطابه السياسي الوطني الملتزم على القيادة التي بدأت تشعر بانخفاض شعبيتها ومن ثم بدأت تنحاز شيئا فشيئا الى الارادة الجماهيرية.

ومن ناحية اخرى فان ذهاب القيادة الوطنية الى حد بعيد في المساومة والمراهنة على الموقف البريطاني لم يفدها في شيء فبقيت بريطانيا متحالفا استراتيجيا مع الحركة الصهيونية حتى النهاية، ومن هنا اذا كنا ندرس الماضي لنتعلم من اخطائه ونحسن التصرف في الحاضر والمستقبل، فلماذا لا يكون خطابنا الرسمي منسجما ممع نبض الشارع واحاسيس الشعب، وتوجهاته، هذا الشعب الذي قال كلمته سنة 1912، كما روي ذلك البرت عنتيبي المعتمد الرسمي للجمعية الاستعمارية اليهودية يصف موقف احد الشباب الفلسطيني الذي قال: سوف نبذل كل ما لدينا حتى القطرة الاخيرة من دمنا لنحول دون استيلاء غير المسلمين على الحرم الشريف.

المصادر والمراجع

1) الأحمد، نجيب (1985)، فلسطين تاريخا ونضالا، دار الجليل، عمان.

2) الحوت، بيان (1974)، القيادات الفلسطينية، 1918–1945، دار المستقبل العربي، القاهرة.

3) السكاكيني، خليل (1955)، يوميات خليل السكاكيني: كذا انا يا دنيا، مؤسسة القدس الثقافية، القدس.

4) الشريف، ماهر (1995)، البحث عن الكيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1918–1920، مركز الأبحاث، قبرص.

5) الشقيري، احمد (1954)، محاضرات عن القضية الفلسطينية منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى 1919، القاهرة.

6) الحزماوي، محمد (1998)، ملكية الاراضي في فلسطين 1918–1945، مؤسسة الاسوار، عكا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7) الغوري، اميل (1955)، المؤامرات الكبرى: اغتيال فلسطين ومحق العرب، دار المعارف، القاهرة.

8) انطونيوس، جورج (1969)، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت.

9) حساسيان، مناويل (1987)، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919–1939، البيادر للنشر، القدس.

10) خالدي، وليد (1983)، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني. اتحاد الجامعات العربية، بغداد.

11) زعيتر، اكرم (1979)، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

12) صبري، بهجت (1982)، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها 1914–1920، جمعية الدراسات الفلسطينية، القدس.

13) علوش، ناجي (1975)، الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية 1882–1948، بيانات النشر، مركز الابحاث، بيروت.

14) غنيم، عادل (1974)، الحركة الوطنية الفلسطينية 1917–1939، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com